المحاضرة الثامنة:

إدارة المخاطر (3)

تحليل المخاطر وأبعادها الاجتماعية

الأبعاد الاجتماعية لتحليل المخاطر

إن القبول الواسع للفلسفة الوضعية والنظرة العلمية للعالم قــوة غـير مرئيــة تضــفي المصــداقية على الدراســات الاحتماليــة للســلامة وممارســات إدارة المخــاطر المعاصــرة. نظــرًا لأن الدراســات تمثــل مقاربة علمية لتقـدير وتقـييم احتمـالات وعـواقب الفشـل في الأنظمـة المعقدة، فإن بديهياته الأساسية تظل مقبولة بشكل عام وتبقى أبعادها الاجتماعية غير مستكشفة، فتحليل المخاطر كسـلوك اجتمـاعي يخضـع لنفس التــأثيرات والقيــود مثــل أي شــكل آخــر من أشــكال الســلوك الاجتمـاعي. وعلى وجـه التحديـد، يُنظـر إلى تحليـل المخـاطر كنشـاط

تقوده النخبة، حيث أن مصالح النخبة تشكل الممارسات والاستنتاجات هذا التحليل. بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه نظرًا لكون هذا المجال من الدراسات يعتبر كسلوك اجتماعي توجهه النخبة، فإن النتائج التي المستوحاة من تحليل المخاطر تتعارض كثيرًا مع الأطر الاجتماعية الأوسع للإدارة و تحليل المخاطر.

كما ذكرنا سابقًا، ينبع مجال تحليل المخاطر من المخاوف التي أثارتها التكنولوجيا النووية خلال فترة الحرب الباردة. وعد مفهوم "ذرات من أجل السلام" « atomes pour la paix » في الخمسينيات من القرن الماضي بأن الإنجازات العلمية المرتبطة بتطوير الأسلحة النووية ستنقل بسرعة إلى القطاع العام في شكل كهرباء للجميع وتقنيات طبية ثورية وغير ذلك من الإنجازات التكنولوجية. ولدت الدراسات الاحتمالية للسلامة من الجهود المبذولة

للتأكد من أن خطط التطوير الصناعي للطاقة النووية تضمنت تقييمات السلامة المنهجية. كما يجب أن نذكر أن الدراسات الاحتمالية للسلامة قد تم إنشاؤه بعد دعوات من الحكومة، وبعد ذلك من قبل الصناعة حول التكاليف المنخفضة للغاية المرتبطة بإنتاج الطاقة النووية ومطالبات بالرضا بشأن سلامة العملية. وفي هذه الحالة، تم استخدام الدراسات الاحتمالية للسلامة لضمان سلامة محطات الطاقة النووية فقط بعد أن اتخذت النخب السياسية قرارها ببنائها.

يوجه كل من السلطة السياسية والمشاريع التنظيمية والمصالح الاقتصادية، من منظور تاريخي، علم تحليل المخاطر. ويُظهر علم اجتماع العلوم بشكل عام، بالإضافة إلى البحث في تطبيق إجراءات تحليل المخاطر، الطرق المتعددة التي يتم من خلالها تشكيل الحسابات العلمية المفترضة وصياغتها من قبل قوى اجتماعية أكبر،

على المســـــتوى الكلي (macroscopique)، ومن خلال المصـــــالح التنظيميــة والمؤسســية على المســتوى المتوســط، وعلى المســتوى الجــزئي (microscopique) من خلال الصــيرورة الــتي تتحــرك بهــا المجموعات المنخرطة في مناقشة موضوع هذه الحسابات.

وقـد لعبت كـل هـذه القـوى دورًا في تحليـل المخـاطر المرتبطـة بالطاقـة النوويـة، وكـل هـذه التـأثيرات واضـحة في عـدد من مشـاريع تحليل المخاطر الأخرى.

يسـتخدم فقـدان الأهليـة على نطـاق واسـع في تقـييم عـواقب الأنشـطة الخطـرة. وبالتـالي يمكن أن يقتصـر تحليـل التركيبـات الـتي تستخدم تقنيات عاليـة المخـاطر على الجـوانب الداخليـة ويغفـل الآثـار الخارجية المحتملة للفشل. ومن نفس المنطلق، يمكن شطب تكـاليف

معينــة من تحليلات الربحيــة بهـدف تحديـد أو تسـهيل إدارة المشـاكل المتعلقــة بالمخـاطر. فالمخـاطر غـير المحللــة هي بحكم تعريفهـا دون إدارة. فقد تم لفت الانتباه إلى حقيقة أنه في عام 1986 عانت طـائرة على متن شركة طيران تجارية من عطب في جهاز السوائل المتحركـة ممــا أدى إلى خســائر عديــدة من الأرواح البشــرية بعــد تحطمهــا. لم يتضمن دليل سلامة الطـائرات أي تعليمـات تهـدف إلى إبلاغ الطيـارين بسلوكهم في مثل هـذه الظـروف ولم يتم تـدريب الطيـارين أبـدًا على التعامل مع هذا الاحتمال. واعتبرت الشركة المصـنعة للطـائرة وشـركة الطيران هذا الفشل مستحيلاً، وبالتالي لم تُتخذ أي تـدابير للتعامـل مـع هذه المأساة.

إن مصالح النخبة والأطر المفروضة في هذا السياق لها من القوة التي لا تؤثر فقط على أنشطة تحليل المخاطر فحسب، ولكن أيضًا من

حيث تكوين معارف وأفعال الضحايا المحتملين لهذه الأنشطة الخطرة، وغالبًا ما تكون هذه النخبة في أفضل وضع لتقديم المعلومات المناسبة أثناء تحليل المخاطر. هذا الاتجاه موثق جيدًا في نسبة كبيرة من عالم التقنيات الخطرة. فعلى سبيل المثال، أجرى كل من شيري كابل وتوماس شريفر بحثا مكثفا عن الديناميات الاجتماعية في مدينة أوك ريدج (Oak Ridge)، في ولاية تينيسي داخل المختبر النووي، أحد المختبرات الأمريكية الثلاثة التي تم إنشاؤها لصنع القنبلة النووية. فعلى الرغم من المؤشرات الواضحة لمستويات التعرض السامة ونقص آليات السلامة في هذه "المدينة الذرية" ، اعتبر العديد من العاملين في الصناعة النووية أن عملهم آمن وحتى وطني. لقد طور عمال مصنع الأسلحة وغيرهم من سكان أوك ريدج العديد من آليات الرقابة الاجتماعية المستخدمة ضد المبلغين عن المخالفات، بالإضافة إلى طرق معينة، مثل تجاهل المكالمات المضادة أو ردها من أولئك

الذين يطالبون بإجراءات أمنية أكثر صرامة. تتولد مثل هذه الممارسات وتعززها أصحاب المصالح الذين يفضلون إدارة مرافقهم في سياق محكم والذين ابتكروا أساليبهم الخاصة للتعامل مع حالة أولئك الذين يشككون في سلامة إنتاج الأسلحة النووية.

من خلال ملاحظاتها عن الأبعاد الاجتماعية لتحليل المخاطر وإدارتها، لا سيما في دراستها الهامة حول حادث المكوك تشالنجر، تقدم ديان فوغان (Diane Vaughan) الكثير من الوثائق عن كيفية تأثير العوامل المؤسسية والتنظيمية والنقابية على كل من تقييمات المخاطر "العلمية" والقرارات المتعلقة بإدارتها. في المنظمات التي تقوم بالأنشطة الخطرة مثل إطلاق مكوك الفضاء، أصبحت طرق التفكير وإدارة المخاطر روتينية للغاية بحيث يتم تجاهل الإشارات التي تشير إلى أن الأحداث على وشك التحول إلى رعب. يمكن أن تكون

المعـايير الاجتماعيــة المحيطــة بالســلامة مصــدرًا رئيســيًا للحــوادث والكوارث. ومع ذلك، لا تؤخذ المعايير النقابيـة والتنظيميـة في الاعتبـار أثناء تحليل المخاطر الرسمية.

لقد تم توضيح فكرة أن تحليل المخاطر بشكل أساسـي هـو نتـاج اجتماعي بدلاً من كونه نشاطا علميا، من خلال السـلوك العـام للقطـاع المالي في السـنوات الـتي سـبقت انهيـار سـوق الأوراق المالـية لعـام 2008. إن إنجـازات الهندسـة الماليـة والنمـاذج الرياضـية الـتي ألهمت الثقــة في طبقــة المســتثمرين والمشــرعين إلى حــد الاعتقــاد الــديني، جعلت النخب المالية تمهد الطريق لواحـد من أكـبر الانهيـارات الماليـة في التـاريخ المعاصـر، بحيث لعبت نمذجـة المخـاطر دورًا أساسـيًا في أنشطة البنوك الاستثمارية، ومقرضي الرهن العقاري، وصناعة التــأمين خلال فترة التضخم المالي. حـتى مـع الـتراكم المتزايـد للحقـائق الـتي

تشـير إلى تفكـيرهم الخـاطئ، اسـتمرت النخب والخـبراء في التفـاخر بقدرتهم الفائقة على فهم سـلوك السـوق بالإضـافة إلى تحليـل وإدارة المخاطر المالية. لم يكن من الممكن أن تسـتمر التضـخم دون تواطـؤ متعدد الأشكال يمتـد على كامـل النطـاق المؤسسـي والتنظيمي الـذي يضم أنواعًا مختلفة من البنوك والمقرضين ووكالات وشـركات التـأمين والمنظمين والمسؤولين الحكومـيين. إن أنشـطة جميـع هـذه الكيانـات وليس التحليلات التي أنتجتها، هي الـتي كـان ينبغي أن تكـون موضـوعًا للتحقيقات التي يفترض أن تفحص صحة النظام المالي العالمي.

إن المطالبـات المبـالغ فيهـا من قبـل النخب في السـنوات الـتي سبقت هـذا الانهيـار المـالي نابعـة من الأيـديولوجيات الـتي تسـتند إلى

مزايا العلم وقدرة ما يسمى بالسوق الحرة على التكيف مع الوضع. فقد تم تعزيز الطبيعة الإيديولوجية العميقة للاعتقاد بقوى السوق الحرة من قبل العديد من الاقتصاديين، وخاصة مدرسة شيكاغو ومؤسسها ميلتون فريدمان.

بالرغم من كون الدراسات الاحتمالية للسلامة أصبحت غير ذات فعالية بشكل خاص عندما ننظر إلى الحالات الأكثر خطورة. فدائمًا ما تثير الاحتمالات الضعيفة مشكلات في مجال تحليل المخاطر، ولكن يُنظر عمومًا إلى هذه المخاوف على أنها مشكلات في تصور المخاطر أو تواصل غير ناجع، بدلاً من إعادة انظر في هذه الدراسات واستجوابها. ومع ذلك، فإن مجموعة متزايدة من البيانات تميل إلى التعارض مع هذه الادعاءات. قبل وقت طويل من ظهور الحدث عام 2008، كان علماء الاجتماع يجرون أبحاثًا حول التعامل مع أسوأ الحالات من قبل النخب والمنظمات. على

سبيل المثال، ترسخ فكرة بأن البشر والمجتمعات يجدون صعوبة بالغة في تصور أسوأ السيناريوهات وأن الانزعاج هو طبيعة ثقافية وإدراكية. ولعل الأهم من ذلك الممارسات التي تستخدمها الشركات والمؤسسات والمنظمات لإدارة سيناريوهات الكوارث والاستجابة لأولئك الذين يطرحون أسئلة تتعلق بأسوأ الحالات الممكنة. وتصف هذه الممارسات بالكسوف والضباب وإعادة الصياغة. هذه الممارسات، المصممة لجعل الأسوأ غير مرئي، تشمل النفي والتجنب والتأكيد على نقاط القوة من أجل إخفاء نقاط الضعف في العملية، وهي ممارسة يتم فيها إعادة تفسير الأحداث السلبية من زاوية إيجابية.